مغامرات هاكلبري

(جانب آخر من الأبوة – قسوة الآباء)

(حوار مع النفس)

شكرا مارك توين ! ، حقا إنني لم أحظ بمعرفتك من قبل و لكنى اليوم و بعد قراءة كتابك مغامرات هاكلبري فن أشهد أنك من أروع الأدباء العالميين الذين قرأت لهم . هذا لما أراك تتصف به من ذكاء واضح في إلمامك بشتى الأمور التي تدور في العصر الذي تتناوله هذا فضلا عن أسلوبك الرائع الذي تصل به إلى هدفك بطريقة ساخرة هي أقرب إلى الكوميديا وهو أسلوب مميز تستحق الثناء عليه و أنى أخشى أن أزيد من كلامي فتراه حسدا (لعلك تأثرت من جيم فتخشى أن تكون عيني شريرة ! سلامي إليك في العالم الأخر)

شكرا مغامرات هاكلبري، تلك الراوية الرائعة التي تعدت حدود الإثارة و الترفيه و كانت لي بمثابة مرجع للتعرف على عادات و تقاليد المجتمع الأمريكي تلك العادات التي تتفق معنا كشرقيين في عدة أمور – عكس ما نعتقد – حيث إيمان بعض الأفراد بالسحر و الفقر الذي يعانى منه الكثير من البسطاء تلك المسألة التي أصبحت اليوم أحدى المشكلات العلمية التي تسعى جميع الدول لحلها، وقد تطرقت الرواية لهذه الموضوعات و أكثر من هذا، فلقد تناولت مسألة تربيه النشء، وتأثير البيئة على تكوين الشخصية، وهذا من خلال علاقة هاكلبري فن بالآنسة واطسون، كما تناولت جانبًا جديدًا من العلاقات الأسرية ألا وهو أنانية الآباء وقسوتهم على أبنائهم، وذلك من خلال الأب وعلاقته بابنه هاك، وكذلك تحدث عن كيفية محاولة الإنسان لتأقلمه مع البيئة التي يوضع بها، وهذا عبر مراحل حياة هاك في تلك المغامرة حيث تعرض لمعيشة أكثر من بيئة، وفي كل مرة يحاول التأقلم والتعايش معها كعادة الإنسان وتعددت موضوعات الرواية التي حقا تستحق الشكر والتقدير .

وأخيرا شكر خاص جدا لمكتبة الإسكندرية، تلك المكتبة الرائعة التي طالما سعت لنشر الآداب والعلوم في كافه الأرجاء والتي أتحفتنا اليوم بهذه التحفة الأدبية الرائعة والتي كانت سببا في كتابة هذه المقال وإلى المزيد من النجاح و التقدم و بعد !

حيرتني هاك ! وأنا أقرأ مغامرتك توقفت عند أكثر من نقطة لتكن محور مقالي فوجدت أكثر من موضوع يجب تناوله بالدراسة والتحليل ذلك لأهميته، ولكنني اخترت أخيرا علاقتك بابيك لتكن محور هذا المقال الذي بين يدي القراء الكرام مع العلم بأنه مقال الأقلية وليس عن الأغلبية، فالأغلب والأعم أن الأب رحيم فيتناسى نفسه في سبيل إسعاد أبناءه لذا تحيه للآباء و بعد.

(باسمك اللهم استفتح)

من منا وجد بلا أب ! من منا لم يدين بفضل هذا الوجود لوالده ! من منا لم يكن حبا عظيما لهذا الرمز المقدس الذي يمثل العطاء على هذا الكون ذلك الرجل الذي يحيى فقط من أجلنا غير عابئ بنفسه ذلك الرجل الذي يفرح لفرحنا و يتألم لأحزاننا، فالأب هو هذا الإحساس الرائع حيث تحمل مسئولية شخص أخر تهب له حياتك دون أي مقابل وتوفر له كافة الاحتياجات، ولو على حساب راحتك، والأب هو منبع العطاء والإحساس الدائم بالأمان لمعرفتنا أن هناك رجلا يستطيع أن يقدم روحه فداء لنا فهو المعلم الأول – الحامي الأول و الملجأ الأول هذا هو الأب ماذا إن كان هناك جانب أخر من الأبوة ! هذا الجانب الذي نراه بقلة منهم هؤلاء القلة الذين لا يستحقون أن نطلق عليهم هذا القول المقدس، فكلمة (أب) من أكثر الكلمات احتراما في عمر هذا الكون إذا ماذا عن الأب مدمن المخدرات ! و ماذا عن الأب مدمن ملذات الحياة التي أوصلته إلى أنه أصبح اليوم يشتهى ابنته ! و ماذا عن الأب الذي يواجه ابنه الشارع في حين أنه لم يدرك حتى إن له ولدا

ماذا ...ماذا ...ماذا ...

و كم ! من رجل يشك بزوجته فيتحمل نتاج هذا الشك أطفالهم . و كم ! من يهاجر و يترك أولاده بلا سند في هذه الحياة الصعبة . و كم ! من رجل يجهل كيفية التعامل مع الأطفال . كم من أطفال مجهولين النسب يرفض آباؤهم الاعتراف بهم .و كم من رجل يلهث وراء الأجساد ثم يرفض تحمل نتيجة هذا السعي القذر فيولد الابن بلا معين و لا هو كم ...و كم ...و كم ...

وإذا كان الأمر كذلك فلم يتزوج هذا النوع من الرجال قساة القلب و ينجبون ولما تلقى تلك العاهرة بأولاد هذا الرجل الزاني ليكن مصيرهم بجوار صناديق القمامة مع الحيوانات . آلاف الأسئلة والإجابة جارحة لذا فلنقل المقولة المشهورة (هذا جناه أبى على – وما جنيته على أحد)* أبو العلاء المعري * فهذا هاك طالما عانى من قسوة و أنانية والده (فن) و لم يستطيع فعل شيء تجاه ذلك الأب القاسي سوى الهرب إذا وجد فيه طوق نجاة.

وهذه سارة قتلها أبوها بعد أن قام باغتصابها و ألقى بها في العراء بعد ما حرقها كي يخفي جريمته و هناك عثروا على (أدهم) مقطعًا بعد أن قتله أبوه بعد ما تأكد من خيانة زوجته غير عابئ بأن هناك احتمال واحد بالمائة أن يكون أبنه هو ومن صلبه .

وهناك عادل ... و جون ... و إبراهيم ... و هناك الآلاف من القصص التي تستطيع قراءتها في الجرائد و المجلات عن حوادث مماثلة (أهؤلاء أباء ؟! يا لسخرية القدر) فبينما يحرم أب نفيه من كل شيء في سبيل توفير احتياجات ابنه هناك أب آخر يجعل ابنه يعمل لكي يوفر له مالا يشرب به الخمر ماذا يفعل إذن ابن الأب الثاني ؟ ذلك الأب الأناني مجرد من الإنسانية فاقد الضمير أيواجهه أم يصطدم به – أم يسلك مذهب هاكلبري و يهرب و لكن إلى أين المفر مما أوصانا الله به في كافة الكتب السماوية و لقد ذكر الكتاب المقدس في العهد القديم . (أكرم أباك و أمك كما أوصاك الرب إلهك , لكي تطول أيامك , و لكن يكون لك خير على الأرض التي يعطيك الرب إلهك) (سفر التثنية ٥-١٦) -(المخرب أباه و الطارد أمه هو ابن مخز و مخجل) (سفر التثنية ١٩ – ٢٦)

كما أوصانا الله عز وجل في القرآن الكريم " و قضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهم أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهم جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا " (سوره الإسراء ٢٣ – ٢٤)

كما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم " أنت و مالك لأبيك " صدق رسول الله صلى الله عليه و سلم. أين المفر إذن ! هنا يبدأ الابن يتحاور مع نفسه حوار مدمرا. أيصعب على أبى يراني أفضل منه ؟ *أينسى أنه صنعي وأني جزء منه ؟. *أيفضل ملذات الحياة الفانية عليَّ أنا ابنه الباقي له ؟.

أكنت جاحدا معه كي ألقى هذا الجزاء علمني إذن ماذا يجب أن افعل تجاهك و سأفعله ؟. أيكون انفصال الأب عن الأم سببا و ما ذنبي أنا في ذلك ؟ أظروف الحياة الشاقة هي التي تدفعه لفعل ذلك كن رحيما بي و أنا أعدك بأن أبقى لك خير معين بهذه الحياة ؟. ربما لذلك ... أو لذلك ... أيما كان الأمر فكيفما أوجدتني في هذه الحياة لابد وأن تبقى بجانبي بها كي أقوى على العيش فبدونك أنت فقط تصعب الحياة

(نداء لكل أب)

حل هذه المشكلة إذن يمكن عند الآباء فهذه دعوة للآباء بأن يعيدوا النظر في معاملتهم وعلاقتهم بأبنائهم تلك العلاقة التي سمت عن أي و صف و أعلموا أيها الآباء أن " من يزرع وردا لا يجنى شوكا "

&&شكرا لحسن قراءتكم و الله ولي التوفيق &&

&&* مقدم من / إيناس حسن سرى أحمد محمد *&